الدور الإيراني تجاه القضية الفلسطينية الأهداف والمحددات

حمدان عبد الله أبو عمران*

ملخص: تناقش هذه الدراسة تصاعد الدور الإيراني في القضية الفلسطينية بشكل ملحوظ بعد الثورة الإيرانية عام 1979م، حيث أخذ هذا الدور دفعة كبيرة بعد فوز حركة حماس في الانتخابات التشريعية عام 2006م، وقد شهدت المرحلة التي أعقبت ثورات الربيع العربي تراجع العلاقات بين إيران وحركات المقاومة الفلسطينية على خلفية قضايا متعددة، أهمّها الموقف من الأزمة السورية، إن الدور الإيراني في القضية الفلسطينية مردّه جملة من الأهداف والمصالح السياسية والإستراتيجية والمذهبية، وقد حكمت المحدداتِ الداخلية والإقليمية للسياسة الإيرانية وعلاقاتها الخارجية هذا الدور وأثّرت في أهدافه.

* باحث، فلسطين

The Iranian Role toward the Palestinian Case: Goals and Determinants

HAMDAN ABU OMRAN*

ABSTRACT This research examines the considerable escalation of the Iranian role in the Palestinian issue after the Iranian Revolution in 1979, which has increased notably after Hamas's victory in the legislative elections in 2007. After the Arab Spring, the relations between Iran and the Palestinian resistance movements have declined because of Iran's stance on several issues; the Syrian crisis basically. This research argues that Iran interferes in the Palestinian issue because of its political, strategic, and sectarian goals and interests, whereas the interior and regional determinants of Iran's policy and foreign relations adjust this role and affect its goals.

* Researcher, Palestine

رؤية تركية
2019 - (8/3)
113 - 95

Doi: 10.36360/1560-008-003-007

مدخل

برزت إيران بوصفها قوةً إقليمية كبيرة في المنطقة... تمتلك إيران من المقومات الأساسية ما يؤهّلها للقيام بدور إقليمي، وتجعلها طرفًا في المعادلات الإقليمية وسياقات النظام الدولي المختلفة، وقد أضفتْ الثورة الإيرانية منذ قيامها عام 1979م، أبعادًا وخصائصَ مختلفة على السياسة الخارجية ميّزت إيران عن غيرها من دول المنطقة، وأضحت أيضًا مُرتكزًا مهمًّا في رؤيتها وموقفها من القضايا الإقليمية والدولية، وفي مقدمتها الموقف من القضية الفلسطينية؛ لكونها قضية مركزية للعرب والمسلمين.

شهدت السياسة الإيرانية بعد الثورة عام 1979م، تحولًا جذريًّا تجاه إسرائيل، وتبوّأت القضية الفلسطينية مكانةً خاصةً في السياسة الخارجية الإيرانية، فكانت محل اهتمام صنّاع القرار في طهران، وسعتْ بقوة لتكون أحد الأطراف المؤثّرة في قضية الصراع العربي الإسرائيلي، وقد شكّل التقارب بين إيران وحركات المقاومة الفلسطينية وفي مقدمتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بعد فوزها في الانتخابات التشريعية عام 2006م- مدخلًا إيرانيًّا مهمًّا للنفوذ الإيراني في فلسطين، وجزءًا من صراع الهيمنة والنفوذ وفرض الإرادة والسيطرة في المنطقة، فأظهرتْ إيران دورًا مهمًّا ومميزًا في دعم القضية الفلسطينية، وأصبحَ الدّعمُ الإيرانيُّ للمقاومة الفلسطينية (السُّنّية المذهب) مثارَ جدلٍ وموضعَ نقاش، وتباينتْ بعض المواقف الفلسطينية والعربية حول صدق التوجهات الإيرانية لهذا الدعم وأهدافه الإستراتيجية في المنطقة، الذي يعدّهُ البعض ورقةً سياسيةً تناورُ بها إيران في إطارِ سياستها الخارجية الإقليمية والدولية.

أدّت الثورات العربية أواخر عام 2010م إلى إحداث جملة من التحولات والتغيرات في المنطقة العربية، وتركت هذه الثورات آثارًا مهمّة على شكلَ ومستقبل التفاعلات والتحالفات والأدوار الإقليمية والدولية فيها، وفي مقدمتها الدور الإيراني تجاه القضية الفلسطينية، ولا شكّ أن المحددات الداخلية والإقليمية للسياسة الإيرانية وعلاقاتها الخارجية أدّت دورًا مهمًّا في فهم توجهات إيران تجاه القضية الفلسطينية، إنّ اختلاف الرؤية تجاه القضية الفلسطينية وقضية التسوية من أهم القضايا الخلافية بين إيران من جهة، وبين بعض الدول العربية والدول الغربية وفي مقدمتها الولايات المتحدة من جهة أخرى، والتي أثّرت من ثَمّ في طبيعة العلاقات بين هذه الأطراف. إن غياب إستراتيجية عربية موحدة للتعامل مع القضية الفلسطينية في ضوء هذه التحولات سمح بتسليطِ الضوء على الدور الإيراني في القضية الفلسطينية، ولذلك تُطرَح تساؤلات جوهرية حول طبيعة هذا الدور وأهدافه ومحدداته.

الدور الإيراني تجاه القضية الفلسطينية: لمحة تاريخية

نشأت العلاقات الإيرانية الفلسطينية أواخر القرن التاسع عشر، عندما افتتحت إيران ممثلية لها في فلسطين، بعد أن هاجر إليها عدد كبير من التجار الإيرانيين، وكانت هذه الممثلية تهتم بالشؤون الاقتصادية والتجارية للتجّار الإيرانيين.[1] وقد تأثرت علاقة إيران بفلسطين خلال القرن العشرين بما جرى من تقلبات سياسية في إيران من جهة، وبتطور الأوضاع في

فلسطين من جهة ثانية، وبدور القوى الإقليمية والدولية المؤثر في منطقتَي الشرق الأوسط والخليج العربي من جهة ثالثة.

الموقف الإيراني من القضية الفلسطينية في عهد الشاه محمد رضا بهلوي

شهدت العلاقات الإيرانية الإسرائيلية قبل الثورة عام 1979م انتعاشًا ملحوظًا، فتميزت العلاقات بين الطرفين بالقوة والمتانة، واتخذت طابعًا أكثرَ عمقًا في أواخر عقد الخمسينيات بالتحالف الإستراتيجي بينهما،[2] فقد اعترفت حكومة "الشاه" رسميًّا بما يُسمّى "دولة إسرائيل" في عام 1960م، وجرى تبادل العلاقات القنصلية والدبلوماسية بين الطرفين.[3]

نشطت العلاقات التجارية بين الطرفين، فكانت إيران تُؤَّمن ما نسبته 60 ٪ من احتياطات (إسرائيل) من المواد النفطية، التي كانت بحاجة لها لدفع عجلة التنمية الاقتصادية في الدولة حديثة النشأة،[4] كما أتاحت العلاقات مع إيران لإسرائيل الخروج من حصارها السياسي والإقليمي، بتدعيم علاقاتها مع دول الجوار غير العربية، واستطاعت إيران الحصول على السلاح الذي تحتاج إليه من إسرائيل،[5] وفي إطار التعاون الأمني والاستخباراتي، درّبت (إسرائيل) ضباطًا وعناصر إيرانيينَ من قوات الاستخبارات والأمن (السافاك)، إضافة إلى تدريب قوات من الجيش الإيراني،[6] وفي هذا الشأن يقول الشاه محمد رضا بهلوي:" إن تعاوننا مع (إسرائيل) لا يقتصر على المخابرات فقط؛ بل إنه أوسع من هذا بكثير، فقد أرسلتُ مجموعات من كل أسلحة الجيش وفروع الإدارة المدنية للتدرب في إسرائيل[7].

الموقف الإيراني من القضية الفلسطينية بعد ثورة 1979م:

شكل انتصار الثورة الإيرانية عام 1979م، التغيير السياسي في إيران التي رافقتها نقطة تحول مهمّة في العلاقات الخارجية لطهران، فاتّخذت الأخيرة جملة من السياسات الأولية كانت

إن الهدف الأساسي للدور الإيراني في القضية الفلسطينية يستند إلى إستراتيجية التمدد الإيراني في منطقة الشرق الأوسط والذي يضمن لها دورًا فعالًا من خلال العلاقات الإستراتيجية مع كل من الحركات الفلسطينية وسوريا وحزب الله اللبناني

بمثابة خطوات إستراتيجية، تُرجمت بإجراءات عملية تمثّلت في قطع العلاقات مع (إسرائيل) والولايات المتحدة الأمريكية،[8] واستبدال سفارة فلسطين في طهران بسفارة إسرائيل، وكان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الراحل (ياسر عرفات) أول شخصية عالمية تزور إيران بعد نجاح الثورة؛ لتهنئةِ مرشدها بالانتصار،[9] كما استبدل اسم الشارع الذي يقع فيه مبنى السفارة الإسرائيلية من شارع "كاخ" إلى شارع فلسطين، بينما عُيِّنَ هاني الحسن (وهو من مؤسسي حركة فتح) أول ممثّل لمنظمة التحرير الفلسطينية في طهران.[10] وعُدَّ آخر جمعة من شهر رمضان "يوم القدس" بوصفه دلالة على التضامن الإيراني والدولي مع القضية الفلسطينية.

بعد انتهاء حرب الخليج الثانية 1991م، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بجهود حثيثة لإرساء عملية السلام في الشرق الأوسط، في المقابل سعت إيران لعرقلة أي تقدّم في العملية السلمية على الأقل بين (إسرائيل) والقوى الفلسطينية، وقد نتج عن ذلك تراجع العلاقة بين إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية، إلى حساب قوى فلسطينية أخرى، مثل حركة حماس والجهاد الإسلامي في فلسطين.

أدى تحوّل النظام السياسي الإيراني من الخطاب الثوري إلى الخطاب العقلاني والمصلحي إلى اتباع طهران سياسات أكثر براغماتية، من خلال الحديث عن الحاجة إلى "سلام واقعي"؛ كما لاحظ المراقبون الرد المعتدل نسبيًّا لإيران على اتّفاق غزة– أريحا بين (إسرائيل) ومنظمة التحرير الفلسطينية (إعلان مبادئ أوسلو) المعروف باتفاق أوسلو، وتكررت تصريحات المسؤولين الإيرانيين التي تؤكد موقف إيران تجاه "عملية السلام"، فقد أكد الرئيس الأسبق هاشمي رافسنجاني في 7/ 6/ 1993م، أن بلاده لا توافق على التسوية، لكنها لا ترغب في التدخل عمليًّا وماديًّا لوقفها.[11]

دفعت التهديدات الأمريكية لإيران التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001م، إلى اتباع سياسة مرنة تجاه (إسرائيل) وتجاه مشروعات التسوية، فأيدت إيران مبادرة الأمير عبد الله بن عبد العزيز التي طرحها إبان مؤتمر القمة العربية في بيروت عام 2002م. وفي ظل معطيات هذا الصراع، نجحت بعض سياسات خاتمي في إخراج إيران من عزلتها واستعادة مكانتها الإقليمية والدولية، ودمج اقتصادها بالاقتصاد الدولي، وبرغم الانفتاح في علاقاتها الخارجية، إلا أن إيران عادت إلى ما كانت عليه من سياسة التشدد والتصعيد تجاه الولايات المتحدة وإسرائيل، وقضية الصراع العربي الاسرائيلي عندما تولى تيار المحافظين بزعامة محمود أحمدي نجاد سدة الحكم عام2005م،[12] فقد كانت إستراتيجية إيران في فترة رئاسة نجاد تكثيف الاتصالات مع الحركات الفلسطينية، كما حرصت إيران على تعزيز

علاقاتها مع حركة حماس، فتتابعت زيارات قادة حركة حماس إلى طهران، حيث زار رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل طهران في 6 مارس 2007م.[13] إن الدور الإيراني المتنامي في القضية الفلسطينية أصبح عاملًا يهدّد العلاقات الفلسطينية الإقليمية، وأدت التدخلات الإيرانية في الملف الفلسطيني إلى تراجع علاقات حركات المقاومة الفلسطينية مع كلّ من مصر والمملكة العربية السعودية، وأصبح الحديث عن سياسة المحاور، يأخذ طابعًا جدّيًا في العلاقات الإقليمية، ما بين محور ممانعة ومحور اعتدال، وعملت طهران بشكل حثيث على الحد من الدور المصري والسعودي في القضية الفلسطينية من خلال الدخول في تفاعلات القضية السياسية والعسكرية والأمنية، وتأكيد أن حركات المقاومة الفلسطينية جزء من محور الممانعة، وهذا يحقّق لطهران مزايا إستراتيجية في المنطقة.

تركت الأحداث والتحولات السياسية في المنطقة العربية –التي أفرزتها ثورات الربيع العربي وتبدل التحالفات السياسية والإستراتيجية– آثارًا سلبية على طبيعة الدور الإيراني تجاه كثير من الملفات المتعلقة بمصالحها الإستراتيجية وحساباتها السياسية، ومن أهمها القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، وكلّ ذلك أدّى إلى تراجع الدور الإيراني تجاه القضية الفلسطينية بدرجة ملحوظة؛ بسبب الثقل السياسي، الذي تحظى به حركات المقاومة على الساحة الفلسطينية؛ إلا أنّ الوعي الإيراني الذي يدرك أهمية الحفاظ على دور فعال في القضية الفلسطينية حتم على طهران عدم خسارة أي طرف من هذه الأطراف، وحاولت المحافظة على العلاقة مع الحركات الفلسطينية السُّنية؛ لما لهذه الفصائل من أثر في الشارع العربي بحكم الخلفية المذهبية السُّنية لهذه الفصائل.[14]

اتّسمت سياسة الرئيس حسن روحاني تجاه القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي، في ضوء التحولات السياسية التي أفرزتها (ثورات الربيع العربي) والتقارب الإيراني الغربي بالبراغماتية والواقعية السياسية، ورافقها تغيّر تكتيكي تجاه موقف إيران من ملف التسوية، يقول وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف: "هذا قرار سيادي ستأخذه إيران؛ ولكن ليس من شأنه أن يؤثر على أرض الواقع في الشرق الأوسط، وإذا كان الفلسطينيون سعداء بهذا الحلّ فلا أحد خارج فلسطين يمكنه منعه، المشكلة على مدى العقود الستة الماضية أن الفلسطينيين لم يكونوا راضين، وهم على حقّ ألا يكونوا راضين؛ لأنّ حقوقهم الأساسية لا تزال تُنتَهك، وليسوا على استعداد للتنازل عن هذه الحقوق".[15] سعت إيران في ظل التطورات الإقليمية والدولية إلى مدّ نفوذها وترسيخ مكانتها، وتعزيز دورها في القضية الفلسطينية، من خلال الدعم المادي والعسكري والدبلوماسي لحركات المقاومة الفلسطينية، وتوظيف هذا الدور لتحقيق أهدافها الإستراتيجية.

أهداف الدور الإيراني في القضية الفلسطينية

إن الهدف الأساسي للدور الإيراني في القضية الفلسطينية، يستند إلى إستراتيجية التمدد الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، والذي يضمن لها دورًا فعالًا من خلال العلاقات

الإستراتيجية مع كل من الحركات الفلسطينية وسوريا وحزب الله اللبناني التي تقع على خط التماس مع الاحتلال الإسرائيلي، وهذا يفسّر الدور الإيراني في القضية الفلسطينية، وبموازاة الخطاب السياسي الثوري الإيراني تجاه القضية الفلسطينية؛ فإن الأبعاد المصلحية لهذه السياسة تتضح أكثر فأكثر في ظل متغيرات السياسة الإقليمية والدولية، فقد أُسِّست العلاقة على أساس المصالح المشتركة بين الطرفين، وإن جاء هذا الخطاب برداء الأيديولوجيا، وهذا يعني أن الاهتمام الإيراني بالصراع ليس لمحض البعد العقائدي والديني؛ بل بناء على حسابات الأمن القومي الإيراني،[16] وتشكل القضية الفلسطينية جانبًا مهمًّا في الأدراك الإيراني، ومردّه بالتأكيد جملة من الأهداف والمصالح السياسية والإستراتيجية والمذهبية بالنسبة لإيران.

الأهداف السياسية والإستراتيجية للدور الإيراني في فلسطين

يمكن ذكر الأهداف التي يقوم عليها الدور الإيراني في القضية الفلسطينية من خلال النقاط الآتية:

- الحفاظ على دور ريادي في القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي يجعل إيران وكأنها طرف مباشر في المعادلات السياسية المتعلقة بتفاعلات السياسة الإقليمية والدولية، لما لهذه القضية من مكانة وتأثير في السياسات العالمية المترتبة على وجود دولة (إسرائيل) صاحبة النفوذ القوي في مؤسسات صنع القرار الغربي والأمريكي.
- إن أحد أهداف إيران الإستراتيجية الكبرى من جراء دعمها للقضية الفلسطينية وحركات المقاومة هو سعيها للقيام بدور إقليمي يتلاءم مع إمكانياتها وقدراتها، بوصفها دولة محورية في المنطقة؛ لذا فهي ترى نفسها تستحقّ دورًا إقليميًّا متميزًا، وإن لم يعترف بهذا الدور فستعمل على انتزاعه عنوة.
- الحسابات السياسية الإستراتيجية الإيرانية التي تجد في فلسطين المحتلة عامة، وقطاع غزة الذي يطل على البحر المتوسط- عمقها الإستراتيجي المضاد لإسرائيل، الذي يشكل مصدر تهديد للمعادلة الأمنية الإيرانية.[17]
- تَعُدّ إيران القضية الفلسطينية ورقة سياسية في إطار تفاعلاتها الإقليمية والدولية؛ من أجل تحقيق المكاسب الإستراتيجية التي تفرضها ضرورات السياسة والاقتصاد، وفي مقدمتها الملف النووي الإيراني.
- من خلال دعم القضية الفلسطينية تستطيع إيران بناء منظومة واسعة من التحالفات الموالية بهدف خدمة القضايا الإيرانية، وهي منظومة متمثلة في عدد من الملفّات الساخنة، التي تمتد من العراق وسوريا مرورًا بحزب الله اللبناني الشيعي، وانتهاءً بحركات المقاومة الفلسطينية من أجل تدعيم النفوذ الإيراني في المنطقة، والحصول على دور مؤثر في الصراع الدائر في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفي ضوء الرؤية الإيرانية الإستراتيجية لإقامة شبكة تحالفات إقليمية موالية، فإنها ربطت دعم القضية الفلسطينية بأمنها القومي.

- تهدف إيران إلى تحقيق قيادة العالم الإسلامي؛ إذ إنها تقوم بدعم القضية الفلسطينية عبر خطاباتها المعادية لإسرائيل والولايات المتحدة من أجل تحريك الرأي العام والشعور الديني للدفاع عن إيران، ومن ثَمَّ فإن دعم المقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الإسرائيلي طريق لاكتساب طهران موقع الحظوة -إلى حدٍّ كبير- لدى الرأي العام الفلسطيني، ووسيلة للتقارب مع الشعوب العربية والإسلامية، في ظل ضعف الدعم العربي للقضية الفلسطينية، عدا محاولة دحض مقولات تأجيجها للخلاف المذهبي في المشهد الإقليمي العربي.[18]

- دعم إيران حركات المقاومة الفلسطينية ذات المذهبية السُّنية يخدم توجهاتها التي تقوم على الإسلام السياسي، ومن هنا فدورها الجيوإستراتيجي يكمن في تواصلها مع مختلف القوى المتمثلة بالتوجه الإسلامي، ومن ثَمَّ فإنه يمكن لإيران أن تتزعم هذا المدّ الإسلامي، وتستثمره في تحقيق مصالحها، ولاسيّما على صعيد المواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.

- تحقيق بعض الأهداف المذهبية في فلسطين من خلال محاولة بناء كيانات سياسية موازية للفصائل الفلسطينية تستند إلى البعد المذهبي، وفي هذا الاطار يمكن القول؛ إن السياسة الإيرانية تجاه القضية المذهبية أو التشيّع في فلسطين تذهب باتجاهين: الاتجاه الأول: السياسة الإيرانية الرسمية: التي لطالما تجنبت طرح البعد المذهبي مع الفصائل الفلسطينية، ولم يصدر عن الساسة الإيرانيين في المستوى الرسمي أيّ تصريح يشير إلى رغبة إيران في نشر المذهب الشيعي في فلسطين، لكن من وجهة نظر المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية، لا بدّ من رؤية ذلك في إطار " براغماتية " سياسية ترى أن من مصلحة إيران تجنب طرح الموضوع المذهبي في خطابها السياسي تجاه القضية الفلسطينية، وتهدف من خلالها إلى:

شهدت العلاقات الإيرانية الإسرائيلية قبل الثورة عام 1979م انتعاشاً ملحوظاً فتميزت العلاقات بين الطرفين بالقوة والمتانة واتخذت طابعًا أكثرَ عمقًا في أواخر عقد الخمسينيات بالتحالف الإستراتيجي بينهما فقد اعترفت حكومة "الشاه" رسميًا بما يُسمّى "دولة إسرائيل" في عام 1960م

- كسب تعاطف الشارع العربي والإسلامي؛ إذ إن بقاء القضية الفلسطينية بعيدة عن الطرح المذهبي يعطي إيران مجالًا للمناورة في علاقاتها الرسمية والشعبية مع العالمين العربي والإسلامي، في هذا الشأن يقول الباحث حسن أبو عبدو: "لا أعتقد أن إيران كدولة معنية بتكوين حركات شيعية في فلسطين، لكن يوجد في إيران تيارات شيعية متطرفة، ولديها البعد المذهبي، وهي تسعى للتبشير به خارج إيران، ومن غير المستبعد أن يكون مثل هذا التوجه موجود، إلا أن هذا التوجه يلحق الضرر بعلاقات إيران الخارجية.[19]

- كما أن دعم الحركات السنية في فلسطين يأتي في إطار الخروج بطهران عن العزلة المذهبية التي ربما تشكل عائقًا أمام تقدّمها الإقليمي في المنطقة.

لكـن هـذه البراغماتية ليسـت دليـلًا على التخـلّي المطلق عن هـذا الموقف؛ بل قـد يعني في التمسـك به بأدوات أخرى، فقد قال المتحدث باسـم حركة حماس (مشير المصري): "إن إيران قدمـت تسـاؤلات لحركة حماس أثناء زيارة رئيس الوزراء الفلسـطيني إسـماعيل هنية لطهران حـول اعتقال أجهزة الأمن الفلسـطينية في قطاع غزة لمجموعة مـن الأفراد الذين تقول حماس إنهـم تحوّلـوا إلى المذهب الشـيعي"،[20] نفهم من ذلك أن الحكومـة الإيرانية لا ترغب في طرح القضية المذهبية في الأطر الرسـمية؛ إلا أن المعطيات والشـواهد تشير إلى وجود جهات أخرى مؤثرة من داخل إيران تسعى لنشر المذهب الشيعي في فلسطين.[21]

الاتجـاه الثاني: الجهات غير الرسـمية: التي تمتلك نفوذًا وتأثيرًا داخـل إيران، وتعمل هذه الجهـات عـلى دعم جهـات غير حكوميـة، كالمنظـمات والجماعات، وبعـض القيـادات الدينية والحركيـة خارج إيران، ربما وجدت هذه الجهات غير الرسـمية في تجاوز الأطر الرسـمية لهذه الحـركات مدخلًا مهمًا لتنفيذ هذه التوجهات عبر إقامة علاقات ورابط مع بعض قادة وكوادر حركات المقاومة الفلسـطينية، على وجه الخصوص بعض الشخصيات التي زارت طهران، أو تلقـت التعليم الجامعي أو التدريب العسـكري في إيران، في هذا الشـأن يقـول حبيب:" هناك جهـات إيرانيـة غير رسـمية ذات نفوذ بما تملـك من إمكانيـات وأموال، ربـما تبحث عن دور مذهبي في فلسطين" .

كانت سياسـة إيـران في مرحلة ما بعد الربيـع العربي تذهب باتجاه تجاوز القيادة السياسـية لحركات المقاومة الفلسـطينية، ونجحـت بعض الأطراف الإيرانية المؤثـرة في القرار الخارجي

في بناء علاقات مع بعض قادة حركة الجهاد الإسلامي، تحت ستار دعم وتمويل عدد من المؤسسات الخيرية التي تنشط في قطاع غزة، وأهمها؛ أنصار السجين، والباقيات الصالحات، ودار الهدى، وجمعية إمداد الإمام الخميني، وفي هذا السياق ذكرت الباحثة في الشأن الإيراني (فاطمة الصمادي) في تقرير لها بالقول: "مع كل خلاف في الموقف تجاه قضية أو أخرى بين إيران وقادة المقاومة في فلسطين، كانت التوصيات تُقدَّم إلى صانع القرار الإيراني من جهات وشخصيات إيرانية على دراية بالوضع الفلسطيني بتوسيع رقعة الحماية الإيرانية لتتجاوز حماس والجهاد الإسلامي إلى غيرهما من التيارات الفلسطينية، ومن الواضح أن إيران تسعى إلى بناء كيانات تابعة لها في الساحة الفلسطينية بدل أن تكون حليفة؛ فعلى الرغم من الدعم الكبير الذي كانت تتلقاه كلٌّ من حركة حماس والجهاد الإسلامي من إيران، إلا أنهما سجَّلا في منعطفات حساسة موقفًا مستقلًا عن السياسة الإيرانية؛ ولذلك خرجت توصيات لمن يديرون ملف فلسطين في إيران بضرورة الاستثمار في هذا الملف من خلال بناء جماعات تابعة لإيران في الداخل الفلسطيني، تؤدي إيران الدور المحوري في تأسيسها وترسيم هويتها واتجاهاتها"،[22] وكانت حركة الصابرين بمثابة محاولات إيرانية حثيثة لتكون أول كيانٍ فلسطيني تابع لإيران ربما يستند إلى أسس مذهبية وطائفية.

محدّدات الدور الإيراني في القضية الفلسطينية

بالرُّغم من أن القضية الفلسطينية تحظى باهتمام كبير لدى صناع القرار الإيراني؛ لِمَا لهذه القضية من أهمية سياسية وإستراتيجية في السياسات الإقليمية والدولية، إلّا أن هناك جملة من المحددات والعوامل حكمت الدور الإيراني في القضية الفلسطينية، وشكلتْ عنصرًا مؤثرًا في طبيعة التوجهات الإيرانية تجاه أهدافها الإستراتيجية وتطلعاتها الخارجية.

الأبعاد والمحدّدات الداخلية التي أثرت في الدور الإيراني تجاه القضية الفلسطينية:

العلاقة بين إيران وتعقيدات القضية الفلسطينية تخضع لمجموعة أبعاد تمثّل جوهر السياسات الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية، وهي: البعد الثوري أي ثوابت الثورة، والبعد المصلحي والاعتبارات المصلحة القومية؛ إضافةً إلى العامل الداخلي وما يتضمن من تناقض في مجمل التوجهات السياسية والحزبية، ويمكن تفصيل هذه الأبعاد وفق ما يأتي:

أولًا- الأبعاد الثورية: تبدو القضية الفلسطينية محكومة في علاقاتها مع إيران من خلال براغماتية الطرح الثوري لأهمية المتناقضات التي تحكم القضية الفلسطينية، ومن هنا فإن الثورة الإيرانية وثوابتها تتعامل مع فلسطين من خلال محددات أساسية:

1 - تتعامل الثورة الإيرانية مع قضية فلسطين؛ باعتبارها أهم قضايا العرب والمسلمين بالمعنى الإستراتيجي،[23] وعليه؛ فإن ثوابت الثورة تبدو متشدّدة حين تحرّم إخضاع التعامل مع فلسطين للاعتبارات السياسية أو المصلحية.

2 – دعم القضية الفلسطينية يشكّل مصدرًا من مصادر مشروعية الثورة الإيرانية وشرعية نظام الحكم في إيران، فإن أي تغييرات إستراتيجية على أهداف السياسة الخارجية الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية في ظل غياب أيَّ تحوّل في السياسات الأمريكية في الشرق الأوسط، من شأنه أن يفقد الثورة الإيرانية معناها، ويضع إيران في خطر أخلاقي مما سيعيد إيران إلى هويتها في أثناء حكم الشاه، فقد أكّد المتحدث باسم الخارجية الإيراني أن "دعم الشعب الفلسطيني هو أحد سياساتنا الرئيسة" [24].

3 – ثوابت الثورة الإيرانية صنعت معادلة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية، تقول: إن قضية فلسطين ستبقى قضية الأمة ما دامت (إسرائيل) قائمة بصفتها دولة، وإن حلّ القضية الفلسطينية يكمن في حذف دول (إسرائيل) من خريطة الشرق الأوسط، وذلك يكون من خلال دعم الفلسطينيين بالمال والسلاح، باعتباره واجبًا إسلاميًّا مقدسًا، ولذلك تربّعت القضية الفلسطينية على قمّة الخطاب الثوري الإيراني قبل نجاح الثورة، فكانت دعوات الخميني لتحرير إيران من الاستعمار متزامنة مع شعارات ثورية تدعو لتجرير فلسطين حين رُفع شعار: "اليوم إيران وغدًا فلسطين" [25].

إذن فالأبعاد الثورية الإيرانية تضع فلسطين وقضيتها ودعم المقاومة في مقام إستراتيجي مهمّ، وهذا جعل القضية الفلسطينية تتبوّا مكانة مميّزة في سياسة إيران الخارجية على مستوى منظومة القيم الأيديولوجية، وعلى مستوى السياسات والأدوات المستخدمة للتعامل معها. وهذا الذي دفع إيران لمعارضة "عملية التسوية"، وأصبحت معارضًا رئيسًا في الإقليم للعلاقات مع إسرائيل.

ممّا سبق يُظهر أن السياسة الإيرانية وبسبب تأثير ثوابت الثورة عليها؛ توجهت في التعاطي مع فلسطين في اتجاهين:

- يقتضي ضرورة تقديم الدعم المالي والعسكري والسياسي لمن يمثّل مشروع المقاومة طريقًا لتحرير فلسطين التاريخية.
- رفض مشروع التسوية السياسية والمفاوضات مع إسرائيل.[26]

ثانيًا– الأبعاد المصلحية: حين قرّرت إيران تطبيق ثوابت الثورة في تعاملها مع القضية الفلسطينية اضطرت إلى النزول بالسقف قليلًا إلى قاعدة أن التعامل في عالم السياسة التطبيقية يأتي ضمن دائرة الممكن؛ أي الانتقال من فكر الثورة إلى فكر الدولة، بينما التنظير معرفيًّا وفكريًّا يحتمل المغامرة، من خلال رفع سقف المطالب والرؤى، وعليه قامت إيران الدولة بالآتي:[27]

– وضعت القضية الفلسطينية مرتكزًا مهمًّا من مرتكزات صناعة القرار السياسي خارجيًّا، وجعلته أحد أهم المرجعيات لصنّاع القرار في اتّخاذ مواقفهم الرسمية حيال القضايا الإقليمية والدولية.

- أعلنت إيران الدولة مرارًا أن دعم القضية الفلسطينية في المحافل الإقليمية والدولية، والوقوف في وجه (إسرائيل) بوصفها كيانًا غاصبًا- هما سياسة إيرانية ثابتة لا تتأثر بأيّ اعتبارات سياسية، لكن إيران وجدت نفسها -في أحيان كثيرة- أمام معضلة حقيقية تجسّدت في صعوبة الجمع بين الثوابت الثورية والمصالح الوطنية خلال التعامل مع قضية كالقضية الفلسطينية، وبين الثوابت والمصالح وجد النظام الإيراني نفسه يحاول صكّ معادلة توازن تبقيه فاعلًا أساسيًّا في القضية الفلسطينية من جهة، ومن جهة أخرى لا تضّر بمصالحه الخاصة المرتبطة بملفات إيرانية خالصة ذات أبعاد داخلية، وقد تبدو هذه المعادلة هشّة بفعل عوامل جديدة فرضت نفسها على المنطقة وبدأت تؤثر -وبشكل مباشر- في قدرة طهران بشأن الجمع بين القضية الفلسطينية وثوابتها الثورية ومصالحها الداخلية.

ثالثًا- طبيعة التوجهات داخل إيران:

إنّ معاملة الكلّ الإيراني على أنه يحمل موقفًا موحدًا تجاه القضية الفلسطينية يُعدّ خطأ في تقييم الحالة الإيرانية وفهمها؛ فإيران دولة واسعة الأطراف، وعدد سكانها يتجاوز ثمانين مليون نسمة، وفيها طيف واسع من التيارات الفكرية والنخب؛ حيث يصعب حسم موقف واحد فيما يتعلق بمقولة سياسية، مهما بلغت أهميتها، والحقيقة أن التوجّه نحو القضية الفلسطينية، كما هو الحال بالنسبة للتقارب مع واشنطن داخل إيران لا يمكن حصره في اتجاهين؛ بل يمكن القول بوجود اتجاهات عدة، أهمّها:[28]

أعلنت إيران الدولة مرارًا أن دعم القضية الفلسطينية في المحافل الإقليمية والدولية والوقوف في وجه (إسرائيل) بوصفها كيانًا غاصبًا- هما سياسة إيرانية ثابتة لا تتأثر بأيّ اعتبارات سياسية

1 - التوجّه السياسي الرسمي: توجّهٌ يعكس الموقف الرسمي الإيراني تجاه فلسطين والمقاومة، ويتسم بالعداء لإسرائيل؛ وتتفاوت درجة هذا الموقف بين التشدّد والبراغماتية؛ وفقًا لمرجعية مؤسسة الرئاسة؛ فالتيار المحافظ استعمل إستراتيجية التصلّب في موقفه من إسرائيل، وظهر ذلك خلال فترة الرئيس المحافظ أحمدي نجاد، وهو ما ينسجم مع رؤية المرشد الأعلى للثورة علي خامنئي، أما تيار الإصلاحيين؛ فاستعملوا الإستراتيجية المرنة تجاه العلاقات مع الولايات الأمريكية والموقف من القضية الفلسطينية، وكانت رؤيتهم تدور حول ثبات الموقف تجاه هذه القضية، مع الأخذ بعين الاعتبار التطورات السياسية، والقبول ما يقبل به الفلسطينيون أنفسهم، مع تأكيد الحق الفلسطيني في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

2 - دعاة الواقعية: وهم فريق يحمل وجهة نظر سياسية خاصة؛ ترى أن إيران تعاملت مع القضية الفلسطينية على أنها قضية مبدئية، وأن ذلك استمر لأكثر من ثلاثين عامًا؛ لكنه يواجه بنظرة واقعية إلى القضية الفلسطينية، ويرون أن هذا الموقف كلّف إيران ثمنًا باهظًا، ويتعارض ذلك مع المصالح القومية العليا للبلاد، كما أن دعم حركات المقاومة الفلسطينية لا ينبع من دافع إسلامي أو إنساني، إنما هو ناشئ من التنافس الإقليمي والدولي مع الولايات

المتحدة والأنظمة الغربية؛ أي أن إيران تستخدم المقاومة ورقة سياسية توظّفها لخدمة مصالحها؛ وبخاصة فيما يتعلق بملفها النووي، وقد بدأ هذا التوجه يأخذ رخمًا بعد فوز الرئيس حسن روحاني في الانتخابات الرئاسية عام 2013م.

3 - أولوية الداخل: يأخذ هذا التوجه بُعدًا اقتصاديًّا ومعيشيًّا واضحًا، ويشارك هذا التوجّه أولوية توجيه الدعم المالي للداخل الإيراني من مبدأ أن "فقراء إيران أحقّ بالدعم"، ويفضّل القائلون بهذا التوجه أن يقتصر الدعم الإيراني على الجانب السياسي، وتقوم وجهات النظر المعارضة للخطاب الأيديولوجي تجاه القضية الفلسطينية على مقولات أساسية؛ هي:

1. أنّ لإيران أولوية تتقدّم على ما سواها، ومن ذلك فلسطين.

2. هناك حالة من الإفراط من جانب الحكومة الإيرانية، فيما يتعلق بفلسطين، يرافقها حالة تفريط أو تجاوز على حقوق الإنسان في أماكن كثيرة.

3. إنّ الحكومة الإيرانية تستغلّ الموضوع الفلسطيني ودعم المقاومة لتعزيز قبضتها في الداخل والخارج، ويُجري هذا الفريق نقدًا كبيرًا لما يطلقون عليه: استغلال الحكومة الإيرانية لقضية فلسطين والمقاومة، ويرون أنها غطاء للاستبداد الداخلي، ويؤكّد أن المصلحة الوطنية يجب أن تكون صاحبة الحرف الأول في السياسة الخارجية؛ لذلك فهذا الفريق يدعو إلى " دفاع معقول" عن القضية الفلسطينية لا يتعارض مع هذه المصلحة.

المحددات الإقليمية التي حكمت الدور الإيراني في القضية الفلسطينية

شَكَّلَ العامل الإقليمي أهمية كبيرة في تحديد طبيعة الدور الإيراني في القضية الفلسطينية؛ فعلى الصعيد الإقليمي فقد كانت القضية الفلسطينية أحد المحدّدات التي أسهمت في رسم معالم الدور الإيراني في الصراع العربي والفلسطيني الإسرائيلي.

العلاقات العربية الإيرانية:

بعيدًا عن السرد التاريخي لطبيعة العلاقات بين إيران والدول العربية، فإن تفاعلات القضية الفلسطينية بما تتضمنه من مشروعات التسوية كانت أحد أهمّ مفاصل الخلاف بين العرب وإيران، وهو خلاف استمرّ على الرغم من تغيّر الأنظمة السياسية والتغير الذي شهدته تلك المجتمعات، وانقسم الخلاف بين العرب وإيران بشأن القضية الفلسطينية قبل الثورة الإيرانية وبعدها، لذلك كان التفاوت في الإستراتيجية والنظرة الإيرانية العربية تجاه (إسرائيل) أحد أهم العوامل التي عزّزت الخلاف بينهما.[29]

شَكَّلَ انتصار الثورة الإسلامية في إيران عام 1979م، نقطة تحول في سياسة إيران تجاه القضية الفلسطينية، حيث جعلتها ركيزة أساسية في خطابها السياسي الثوري، بل أصبحت أداة من أدوات الشرعية في النظام الإيراني، في المقابل على الصعيد العربي كان توقيع مصر اتفاقية السلام مع (إسرائيل) عام 1979م، يعكس توجهات بعض الدول العربية تجاه القضية الفلسطينية نحو الانتقال من دائرة الصراع إلى مربّع السلام والمفاوضات، وعارضت إيران

مفاوضات السلام بين (إسرائيل) والدول العربية، بل دعمت بعض الحركات الفلسطينية الرافضة لنهج التسوية السلمية، وذلك لأسباب جيوسياسية تتعلق بمكانتها الإقليمية في المنطقة، وهو ما عدّته بعض الدول العربية تدخلًا غير مقبول في شؤونها الداخلية وسياستها الخارجية؛ لأنها تَعدُّ القضية الفلسطينية قضيتها الأولى ولا يحق لإيران التدخل فيها، وهي ترى أيضًا أن إيران تعرقل هذه المفاوضات لا من باب الحرص على المصلحة الفلسطينية، بل لأنّ هذه المباحثات ستشكّل الخطر الأكبر على مصالح إيران في المنطقة، وتنظر الدول العربية -خصوصًا المحور القلق إزاء إيران- إلى أنّ حديث الأخيرة عن فلسطين والدفاع عنها ما هو إلا نوع من الحرب الإعلامية لتشويه سمعة تلك الأنظمة، ونوع من إثارة القلاقل في البلاد؛ لذا أصبح موقف إيران من القضية الفلسطينية والخطاب السياسي الصادر عنها، يُعَدّان نوعًا من التهديد الإيراني للأمن القومي العربي، وهو ما أثّر سلبًا في العلاقات العربية- الإيرانية.[30] وعلى الرغم من أن قلق بعض الدول العربية -وتحديدًا المملكة العربية السعودية ومصر- من المشروع السياسي والأيديولوجي لطهران أدّى إلى تحجيم الدور الإيراني إلا أنّ غياب إستراتيجية عربية موحدة للتعامل مع القضية الفلسطينية سمح بتسليطِ الضوء على الدور الإيراني في القضية الفلسطينية.

العلاقات الإيرانية التركية:

شهدت فترة حكم حزب العدالة والتنمية محاولاتٍ تركية حثيثة -التي غدت رؤية إستراتيجية- لمزيد من الانفتاح على العالم العربي والإسلامي، وهذا ما يّفسر مدى الاهتمام التركي بالقضية الفلسطينية بوصفها أحد المفاتيح المهمّة للدخول إلى المنطقة؛ وذلك بعد إخفاق محاولاتها في الانضمام للاتحاد الأوروبي. أمام تطور هذه الأدوار وتراجع العلاقة بين حركة حماس وطهران لمصلحة تركيا وقطر- فإن طهران لم تخفِ خشيتها سحب بساط القضية الفلسطينية من تحت أقدامها؛ خصوصًا أن الدعاية الإيرانية ما فتئت تروّج بأنها حاضنة المقاومة الفلسطينية، وأنها صاحبة الدور الريادي في دعم القضية الفلسطينية وتطوير القدرات العسكرية للأجنحة الفلسطينية المسلحة التي كان لها دور في صد العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة سنة 2012م.

وفّرت العلاقة المفتوحة بين حركة حماس وبعض القوى الإقليمية المناهضة لطموحات إيران الإقليمية، ولاسيما قطر وتركيا حرية مناورة أكبر لحركة حماس، مكّنتها من الابتعاد تدريجيًّا عن التحالف الإيراني السوري؛ وقد أدّى خروج الحركة من سوريا إلى تصدّع محور الممانعة، وهو ما أفقد إيران الكثير من أوراق القوة الإقليمية، وباتت حماس أكثر قربًا من قطر وتركيا، وهذا جعل قدرة إيران في التأثير في حماس من منطق التحالف المفتوح ضعيفًا، مع توجّه الحركة إلى هذه الأنظمة،[31] التي عملت على استقطاب حركات المقاومة الفلسطينية الكبرى، وإخراجها من دمشق؛ لإفقاد محور الممانعة ميزة التنوع المذهبي الإسلامي، والثقل الثوري الفلسطيني.

العلاقات الإيرانية الأمريكية:

كان أداء إيـران دورًا مهمًّا في منطقة الشرق الأوسـط بدعم مـن الولايات المتحدة للحفاظ عـلى مصالحها إحدى السـمات البـارزة في العلاقات الإيرانية الأمريكية قبـل عام 1979م ؛[32] لذلـك شـكّل انتصار الثـورة الإيرانيـة عـام 1979م نقطة تحوّل مهمّـة في السياسـة الإيرانية تجـاه الولايـات المتحـدة وإسرائيـل؛ إذ تحوّلت إيـران من حليف إسـتراتيجي للـدول الغربية عامـة والولايات المتحدة وإسرائيـل بصورة خاصة إلى دولة ذات ثقـل ووزن إقليمي، ومركز جذب واستقطاب للسياسات المناهضة للولايات المتحدة الأمريكية، ونتج عن اختلاف رؤى الطرفين توجهات، أنه ليس بمقدور كل طرف أن يترك مصالحه لأحد الأطراف في ظل انعدام الثقة بين الولايات المتحدة والنظام الجديد في طهران.[33]

تُعَـدّ القضيـة الفلسـطينية والموقف من (إسرائيـل) إحدى القضايا الخلافية الأساسـية بين إيـران والولايـات المتحـدة، ويذهـب البعض إلى أن تحّسـن العلاقـات بين إيـران والولايات المتحـدة يُعَـدّ أزمـة داخليـة في كلا البلديـن، حيث لا يكف أنصـار التيار المحافـظ في إيران في الهجـوم السـياسي على (إسرائيـل) والولايـات المتحدة، ووصفهـا بأنها العـدو الأول لإيران،[34] وينـددون بالداعـين إلى إعـادة العلاقات مع الولايـات المتحدة، في حين أن مراكز السـلطة الأمريكية داخل الكونغرس الأمريكي الموالية لإسرائيل تقف عقبة أمام تحسـين العلاقات مع إيران،[35] وتتهم الولايات المتحدة إيران بأنها تدعم حركات المقاومة الفلسـطينية المسؤولة عن قتـل إسرائيليين يحملون الجنسـية الأمريكيـة[36]، إلى جانب معارضة عملية السـلام في الشرق الأوسط التي ترعاها الولايات المتحدة.

تقـوم الإسـتراتيجية الأمريكية والإسرائيلية على العمل لتوسـيع عملية السـلام في المنطقة بغية زيادة فاعلية حضورها في المنطقة، وتوفير الحماية اللازمة لإسرائيل بما يتيح مجالًا للحضور الإسرائيـلي في الخليـج،[37] في المقابل كانت رؤية إيران لعملية السـلام بين (إسرائيل) والعرب قائمـة على الرفـض المصلحي لهذه العملية، وتمثّلت هذه الرؤيـة في مرحلة الخميني حتى وفاته 1989م، ومـع تطور وانتقال إيران مـن الثورة إلى الدولة بدا أن تطورًا طرأ تجاه نظرة إيران إلى مشروعات التسـوية، بمعنى (القبول بما يقبل به الفلسـطينيون)، في ظـل الحديث عن الواقعية السياسـية تحت ضغط الظروف الداخلية والخارجية التي تمرّ بها طهران، لكنّ أسـاس معارضة إيـران لمثل هذه المشروعات قائم على أبعاد إسـتراتيجية مصلحيـة؛ فالحديث عن رؤية أمريكية لحماية (إسرائيل) وضمان اندماجها في العالم العربي والإسـلامي عبر بوابة مشروعات السـلام أو ما يسـمى بالتسوية السياسية- يُسـهم في فتح المجال أمام النفوذ الإسرائيلي مقابل محاولات تقزيـم واحتـواء النفـوذ الإيراني في المنطقـة، وتهديد مصالحهـا الإسـتراتيجية، إضافة إلى عدم قبـول طهران باسـتثنائها من المعـادلات السياسـية الإقليمية، ومن هنا شـكّلت إيـران ما يُعَدّ إعاقة منهجية لمشروعات التسـوية في الشرق الأوسط، وذلك من خلال دعم طهران لحركات

المقاومة العربية والفلسطينية، لذلك كان الموقف الأمريكي إزاء إيران أكثر تشدّدًا، مع اتّهام طهران بدعم "الإرهاب" وتمويله، ورفض أي تسوية سلمية مع إسرائيل.[38]

العلاقات الإيرانية الروسية:

قادت جملة العوامل كلًّا من روسيا وإيران للدخول في شراكة "تعاون"، وذلك لفرض معادلة سياسية تحقّق أهداف ومصالح طهران وموسكو، إلا أن التباين في السياسات العامة والخلافات بين الرؤى والمصالح الإستراتيجية بين البلدين في قضايا إقليمية ودولية ألقى بظلاله على الدور الإيراني في القضية الفلسطينية، سلبًا أو إيجابًا، ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

إن تتطور السياسة الروسية تجاه القضية الفلسطينية، والدعم السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية، وفتح علاقات مع حركة حماس، ومحاولات موسكو إنهاء الانقسام، وانزعاج روسيا وإيران من مشروعات التسوية في المنطقة بسبب التفرد الأمريكي، ومحاولات واشنطن تهميش دور البلدين في عملية السلام- كلّ ذلك محددات تُعَدّ من الحوافز لتنامي الدور الإيراني في القضية الفلسطينية، إلا أن هناك افتراقًا في توجهات البلدين؛ فبينما تريد إيران إبقاء حالة الصراع العربي الإسرائيلي تحديدًا في الأراضي الفلسطينية مفتوحًا في مسعى من طهران لاستنزاف إسرائيل، فإن موسكو تظهر قلقها وتعاطفها مع إسرائيل، لكون جزء من سكان (إسرائيل) من أصل سوفياتي/ روسي، فضلًا عن أنها ترتبط بعلاقات إستراتيجية قديمة مع تل أبيب، كما أنّ روسيا تعارض السياسات الإيرانية تجاه هذا الصراع، ومن ذلك الدعم المسلح للمقاومة الفلسطينية. وتأخذ موسكو بعين الاعتبار المصالح الإسرائيلية ذات

قادت جملة العوامل كلًا من روسيا وإيران للدخول في شراكة "تعاون" وذلك لفرض معادلة سياسية تحقّق أهداف ومصالح طهران وموسكو إلا أن التباين في السياسات العامة والخلافات بين الرؤى والمصالح الإستراتيجية بين البلدين في قضايا إقليمية ودولية ألقى بظلاله على الدور الإيراني في القضية الفلسطينية

الطابع الأمني في سوريا، وهذا نقطة خلاف بين طهران وموسكو. فالتفاهمات الروسية مع (إسرائيل) فيما يتعلق بمنع إيران وحزب الله من فرض وجود عسكري ونفوذ سياسي دائم في سوريا يُعَدّ أمرًا يستهدف الدور الإيراني في المنطقة العربية، وتحديدًا القضية الفلسطينية.

أمام الحاجة الإيرانية للدعم السياسي والعسكري الروسي لمواجهة العقوبات الدولية على طهران فإن الدور الإيراني في الصراع العربي الإسرائيلي والموقف من القضية الفلسطينية سيبدوان محكومين ببعض التوجّهات الروسية، حيث تسعى موسكو إلى عرقلة أيّ إجراءات إيرانية من شأنها أن تشكّل تهديدًا لإسرائيل؛ ومِن ثَمّ تقزيم الدور الإيراني في المنطقة.

العلاقات الإيرانية الأوروبية:

تحرص إيران على بناء شبكة علاقات سياسية واقتصادية مميزة مع الاتحاد الأوروبي، وتسعى طهران إلى تعزيز تعاونها مع هذه الدول في سبيل خدمة مصالحها الإستراتيجية، ومحاولة فكّ العزلة السياسية والاقتصادية والالتفاف على العقوبات الأمريكية، فالحاجة الإيرانية لأوروبا جعلت من الأخيرة محدّدًا مهمًا ومؤثرًا في السلوك الإيراني الخارجي تجاه ملفات إقليمية، ومنها القضية الفلسطينية، فقد كان الموقف الإيراني من (إسرائيل) وعملية التسوية وتقديم الدعم لحركات المقاومة اللبنانية والفلسطينية موضع خلاف بين الطرفين.

وقد أسهم الاتفاق النووي بين إيران ومجموعة 5+1 في عام 2015م في توقّف إيران عن برنامجها لتخصيب اليورانيوم، مقابل رفع العقوبات الدولية، والإفراج عن أرصدتها المجمّدة في الخارج، وهو ما أسهم في تدعيم نفوذها ودورها في المنطقة العربية، بما فيها القضية الفلسطينية،[39] ولذلك جاءت قمة الرياض التي عُقِدت في 21 مايو 2017م بين الدول العربية والإسلامية والولايات المتحدة بمثابة مراجعة لهذا الدور المتصاعد.

تؤدّي المتغيّرات على المستوى الدولي دورًا بارزًا في تحديد مستقبل الدور الإيراني، ويمكن من خلالها قراءة مستقبل الدور الإيراني في القضية الفلسطينية، ففي حال نجاح اتفاق لوزان عام 2015م بين إيران والدول (5+1) فإن إيران قد تسعى إلى فرض معادلة جديدة، تحافظ على طهران لاعبًا أساسيًّا في القضية الفلسطينية، وتحفظ لها في الوقت ذاته مصالحها الخاصة المرتبطة بملفات داخلية وإقليمية، وإنّ من مصلحة إيران عدم قطع العلاقة مع هذه الأطراف الفلسطينية حتى لا تذهب هذه الأطراف بعيدًا إلى المحور السُّنِّي، أمّا إخفاق اتفاق لوزان، أو انسحاب أحد الأطراف منه فإن الرئيس روحاني قد لا يتمكن من المُضيّ بعيدًا في طروحاته التفاوضية؛ ولذلك لا يتعارض مع "المرونة الإيرانية" أن نشهد سعيًا إيرانيًّا إلى المسارعة في

تقوية العلاقة مع حركات المقاومة الفلسطينية، والحرص على تقويتها بشكل كبير أكثر من ذي قبل.

خاتمة

مثّلت الثورة الإيرانية عام1979م متغيّرًا جوهريًّا في المعطيات الجيوسياسية الإقليمية والدولية، وأصبحت القضية الفلسطينية تحظى باهتمام كبير لدى صناع القرار الإيراني؛ لكنّ غياب الرؤية الإستراتيجية العربية الموحدة تجاه القضية الفلسطينية، ترك فراغًا إستراتيجيًا استغلّته إيران لتعزيز دورها في القضية الفلسطينية، من خلال دعم حركات المقاومة الفلسطينية، وهو ما عكس هذا الدور على مسار العلاقات العربية الإيرانية من جهة، وعلى العلاقات الفلسطينية العربية من جهة أخرى، وقد تراجع الدور الإيراني في القضية الفلسطينية في ضوء التحولات السياسية الإقليمية (الثورات العربية)، بينما نشطت أدوار قوى إقليمية أخرى، مثل تركيا ومصر وقطر. إن الاهتمام الإيراني بالقضية الفلسطينية مرده جملة من الأهداف والمصالح السياسية والإستراتيجية والمذهبية التي تسعى طهران إلى تحقيقها، مستندة في ذلك إلى إستراتيجية التمدّد الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، في المقابل هناك جملة من المحددات والعوامل الداخلية والإقليمية والدولية حكمت الدور الإيراني في القضية الفلسطينية، وشكّلتْ عنصرًا مؤثّرًا في طبيعة التوجهات الإيرانية تجاه أهدافها الإستراتيجية وتطلعاتها الخارجية.

الهوامش والمصادر :

1. علي أكبر ولايتي، إيران وفلسطين (1897– 1937): جذور العلاقة وتقلبات السياسة، تعريب سالم مشكور، بيروت: دار الحق، 1997، ص83.
2. علاء الفار، العلاقات الإسرائيلية الإيرانية، أوراق صهيونية، ط1، دار ببلومانيا للنشر والتوزيع، 2017م ، ص46-47.
3. فهمي هويدي، إيران من الداخل، ط2 ، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1988 ص365، ص29.
4. زهير ماريديني، الثورة الإيرانية بين الواقع والأسطورة، ط1، بيروت: دار اقرأ، 1986، ص114.
5. الفار، العلاقات الإيرانية الإسرائيلية، أوراق صهيونية، مرجع سابق، ص47.
أُسِّسَ جهاز السافاك في إيران بمساعدة وكالة المخابرات الأمريكية (C.I.A) في عام 1957م، وكانت مهمّة هذا الجهاز ملاحقة المعارضين لنظام الشاه، ووضعهم تحت المراقبة، موسوعة ويكيبيديا الإلكترونية، متاح على الرابط: https://ar.wikipedia.org
6. Roshni Elizabeth Abedin,A,B, Iranian – Israel Relations: From Covert Relations To Open Hostilty, Unpublished Master dissertation, Georgetown University ,Washington.2010,pp 17-19.
7. أحمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية الإيرانية (1979م2011-م)، ط1، جامعة بغداد، بغداد، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2011م، ص521.

8. محمد المقداد، تأثير المتغيرات الداخلية والخارجية الإيرانية على توجهات إيران الإقليمية: العلاقات الإيرانية العربية: دراسة حالة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد40، العدد2، (2013م)، ص460.
9. Abedin.2010, Ibid.,, -p38
10. خالد هتهت، موقف إيران تجاه القضية الفلسطينية بعد اتفاق أوسلو، رسالة ماجستير غير منشورة، (معهد البحوث والدراسات التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، 2010م)، ص24.
11. ميشال نوفل وآخرون، موقع العلاقات العربية- الإيرانية في اطار العالم الإسلامي (الورقة العربية)، في العلاقات العربية الإيرانية: الاتجاهات الراهنة وآفاق المستقبل، ط1 ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، ص907.
12. راي تقيه، إيران الخفية، نقله إلى العربية أيهم الصباغ، ط1، المملكة العربية السعودية، مكتبة العبيكان، 2010م، ص271، ص 278.
13. أحمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية الإيرانية (1979م2011-م)، ط1، جامعة بغداد، بغداد، دار الجنان للنشر والتوزيع، ص554.
14. فرح الزمان أبو شعير، محددات الموقف الإيراني من مصر بعد الثورة ، الدوحة: تقرير، مركز الجزيرة للدراسات،، 8 يناير، 2013م، ص4.
15. Iran firm to boost ties with Latin America: President Rouhani, Iran English Radio,(IRIB) world serviese, 10 February, (accessed 10 March 2014. https://bit.ly/2zc5Rgu.
16. أحمد محمد توبة، السياسة الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية وانعكاسها على النظام الاقليمي العربي، (رسالة دكتوراة)، القاهرة: قسم العلوم السياسية ، جامعة القاهرة، مصر، 2013م، ص295.
17. نادية سعد الدين، إيران والقضية الفلسطينية: تأرجح النفوذ بين الأيديولوجية والمصالح، مركز عدن للبحوث الإستراتيجية والإحصاء، متاح على الرابط: https://bit.ly/2lX0UP9
18. نادية سعد الدين، إيران والقضية الفلسطينية: تأرجح النفوذ بين الأيديولوجية والمصالح، المركز الإقليمي للدراسات الإستراتيجية، 2016/1/28م، القاهرة.
19. مقابلة شخصية مع الباحث حسن أبو عبدو، بتاريخ 1 مارس 2017، غزة ، فلسطين.
20. مقابلة للباحث مع القيادي في حركة حماس مشير المصري، بتاريخ 5 مارس 2017، غزة، فلسطين.
21. مقابلة للباحث مع القيادي في حركة الجهاد الإسلامي خضر حبيب، بتاريخ 1 مارس، 2017، غزة.
22. فاطمة الصمادي، حماس والجهاد تعيدان توصيف العلاقة مع إيران: قراءة تحليلية، الدوحة، مركز الجزيرة للدراسات، 2015م، ص10.
23. محمد الآغا، العلاقات القطرية- الإيرانية وانعكاسها على القضية الفلسطينية (2006م2013-م)، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الإدارة والسياسة، البرنامج المشترك مع جامعة الأقصى، فلسطين، غزة، 2015م، ص109
24. توبه، السياسة الإيرانية تجاه القضية الفلسطينية وانعكاسها على النظام الإقليمي العربي، مرجع سابق، ص300.
25. توبه، المرجع السابق نفسه، ص300.
26. الآغا، العلاقات الإيرانية القطرية وانعكاسها على القضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص109.

27. توبة، مرجع سابق، ص301.
28. .فاطمة الصمادي، في التقارب الإيراني الأمريكي: من أين تمر الطريق إلى فلسطين في ملفات التقارب الإيراني الأمريكي: مستقبل الدور الإيراني، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، 2014م، ص51.
29. محجوب الزويري، إيران والعرب في ظلال الدين والسياسة عبر التاريخ، في كتاب العرب وايران: مراجعة في التاريخ والسياسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، 2012م ، ص67.
30. الزويري، إيران والعرب في ظلال الدين والسياسة عبر التاريخ، مرجع سابق، ص67
31. طلال عتريسي، موقف إيران ومحور الممانعة تجاه المقاومة الفلسطينية، ورقة عمل، بيروت: مركز الزيتونة للدرسات والاستشارات، 2014م ، ص4-5.
32. محمد طالب حميد، العلاقات الإيرانية الأمريكية: توافق أم تقاطع، ط1، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م، ص17.
33. سليم كاطع علي، البعد الإيراني في السياسة الخارجية الأمريكية، مجلة دراسات دولية، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية، جامعة بغداد، ص164.
34. فاضل رسول، هكذا تكلم شريعتي، (الطبعة الثالثة، بيروت: دار الحكمة للنشر، 1987).
35. فتحي الديب، عبد الناصر وثورة إيران، (القاهرة ، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بمؤسسة الأهرام، 2000).
36. بول ماغوو، اقتل خالد: عملية الموساد الفاشلة لاغتيال مشعل وصعود حماس، ترجمة مروان سعد الدين، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 2009م، ص375-376.
37. مخلد المبيضين، الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه إيران منذ قيام الثورة الإسلامية 1979م، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، المجلد 31، العدد 3، 2006م، ص58.
38. أحمد المدني، العلاقات الأمريكية الإيرانية وتأثيرها على الوضع الفلسطيني الداخلي 2006م-2009م، رسالة ماجستير غير منشورة (فلسطين، جامعة الأزهر، 2010م)، ص32.
39. أحمد سيد أحمد، قمة الرياض وآفاق الدور الإيراني في الإقليم، مجلة الدراسات الإيرانية، مركز الخليج للدراسات الإيرانية، السنة الأولى، العدد الثالث، يونيو 2017م، ص76.